محاضرات في السيميولوجيا

أ) المدارس السيميولوجية :

لقد عدد مارسيلو داسكال الاتجاهات السيميولوجية في اتجاهين رئيسيين وهما :المدرسة الأمريكية المنبثقة عن بيرس والتي يمثلها كل من موريس وكارناب، والمدرسة الفرنسية أو بالأحرى الأوربية المنبثقة عن دسوسير والتي يمثلها كل من بويسنس وبريطو وجورج مونان ورولان بارث وغيرهم. كما استعرض بعض الاتجاهات الفرعية الأخرى يمثلها كل من كُريماس وبوشنسكي وجوليا كريستيفا. لكن ما يلاحظ على مارسيلو داسكال**Marcelo Dascal** هو إغفاله لاتجاه أو مدرسة تعد من أهم المدارس السيميولوجية الرو[سية، وهي مدرسة تارتو التي يمثلها كل من يوري لوتمان وأسبنسكي وبياتغورسكي و إيفانوف.

أما الدكتور محمد السرغيني، في كتابه(محاضرات في السيميولوجيا)، فيحدد ثلاثة اتجاهات: الاتجاه الأمريكي ،والاتجاه الفرنسي، والاتجاه الروسي.

Commented [hal]: موريس وكارناب،

Commented [haٌ]: دسوسير وا بويسنس وبريطو وجورج مونان ورولان بارث

Commented [haٍ]: يوري لوتمان وأسبنسكي وبياتغورسكي و إيفانوف.

في حين يفضل مبارك حنون التقسيم التالي: سيميولوجيا التواصل، وسيميولوجيا الدلالة، وسيميوطيقا بير س ،ورمزية كاسيرر وسيميولوجيا الثقافة مع الباحثين الروس (يوري لوتمان وأوسبانسكي وايفانوف وطوبوروف...) والباحثين الإيطاليين (أمبرطو إيكو وروسي لاندي...)، وتنطلق هذه السيميولوجيا من اعتبار" الظواهر الثقافية موضوعات تواصلية وأنساقا دلالية

المدرسة الفرنسية (الاوربية) :. وتقسم هذه المدرسة الى تجاهات أولها الاتجاه السويسري ويمثله دي سوسيرو اتجاه التواصل و اتجاه الدلالة و مدرسة باريس السيميوطيقية و اتجاه السيميوطيقا الماديةو السيميولوجيا الرمزية وفي هذه المحاضرة سنتوقف عند دراسة المدارس عامة من دون الدخول في الاتجاهات التي سندرسها في محاضرات مستقلة لها

مفهوم العلامة عند دسوسير : يذهب دسوسير على خلاف الذين سبقوه إلى القول بأن الدليل اللساني لا يجمع بين شيء واٍسم بل بين تصور ذهني وصورة ذهنية ،فالعلامة اللسانية عنده مركبة من طرفين متصلين يمثلان كيانا ثنائي المبني يتكون من وجهين يشبهان وجهي العملة النقدية ، لا يمكن فصل أحدهما عن الأخر ، فالطرف الأول هو الدال **signifiant** أي الصورة الصوتية وهي مجموع الفونيمات المكونة للفظة ، أما الطرف الثاني هو المدلول **signifie** وهو المفهوم أو ما يسمى بالصورة الذهنية ،

العلامة عند دسوسير = دال +مدلول (العلاقة التي تجمع بينهما هي علاقة إعتباطية)

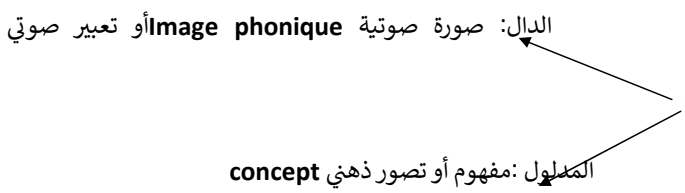

إذ أن الرابط الذي يجمع بين الدال والمدلول هو رابط اعتباطي (عدم وجود علاقة طبيعية بينهما) مثلا التصور الذهني لكلمة(أخت) لا تربطه أي علاقة داخلية بتتابع الأصوات التالية : الهمزة والضمة والخاء والتاء التي يقوم عليها الدال ،و أحسن دليل يبرهن على اعتباطية الدليل اللساني هو اختلاف التسميات (الدوال) لمدلول واحد حتى وإن تعلق الأمر بلغات متجاورة كالفرنسية ، والإنجليزية والإيطالية فمثلا : كلمة كتاب يعبر عليها في الإنجليزية ب **(book**)وبالفرنسية ب (**livre)**وبالإسبانية (**libro**) .

تصنيف العلامات وفق هذا المدرسة : بالرغم من أن دسوسير يعد من بين أهم رواد هذه المدرسة ، إلا أنه قد اقتصر في تصنيفاته على العلامة اللغوية فقط ،ولم تشمل بذلك المجال الأوسع للعلامة (العلامة اللغوية وغير اللغوية).

المدرسة الأمريكية: ارتبط هذا الإتجاه بالفيلسوف المنطقي شارل ساندرس بيرس والسيميوطيقا عنده بحث موسع يهتم بالدلائل اللسانية وغير اللسانية وأكد بيرس أنه لا يمكن أن يدرس أي شيء مهما كان إلا بوصفه دراسة سيميوطيقية ، وسيميوطيقا بيرس ذات وظيفة فلسفية منطقية لا يمكن فصلها عن فلسفته التي سماها الاستمرارية والواقعية والتداولية ويمكن اعتبار سيميوطيقا بيرس سيميائيات الدلالة والتواصل في آن واحد كما اجتماعية وجدلية تعتمد على أبعاد ثلاثة وهي :البعد التركيبي، والبعد التداولي، والبعد الدلالي العلامة عند بيرس وعلاقتها بالاستدلال :

لقد تناول بيرس العلامة في سياق منطقي دقيق يعتمد كثرة التفريعات والتقسيمات مما يجعل فهم مفهومه للعلامة أمرا صعبا. وإذا كانت العلامة عند دسوسير ثنائية الطابع، فإنها من وجهة نظر بيرس "علاقة ثلاثية بين ثلاث علامات فرعية تنتمي على التوالي إلى الأبعاد الثلاثة المصورة والمفسرة والركيزة". ويرى تودوروف ودوكرو في هذا السياق أن "الرقم "ثلاثة" يلعب دورا أساسيا في سيميوطيقا بيرس، مثل الرقم "اثنان" في سيميولوجيا سوسير تماما" إذ يوضح الشكل مكونات العلامة /الدليل عند بيرس

Commented [ha٤]: هذا، وتدرس السيميولوجيا عند دوسوسير الأنساق القائمة على اعتباطية الدليل. ومن ثم، لها الحق في دراسة الدلائل الطبيعية كذلك. أي: إن لها موضوعين رئيسيين: الدلائل الاعتباطية والدلائل الطبيعية. علاوة على ذلك، ينبغي على السيميولوجيا ، لكي تحدد استقلالها، وتفرد مجالها الإبستمولوجي، وتكون مفاهيمها التطبيقية ،وتحدد تصوراتها النظرية، وتبين مصطلحاتها الإجرائية، أن تستعير من اللسانيات مبادئها ومفاهيمها، كاللسان والكلام، والسانكرونية والدياكرونية، كما فعل رولان بارت الذي يقول:" بمثل هذه النظرة، ما يترتب عنها صارت السيميولوجيا تابعة للسانيات ، بل وفرعا منها. والمنهج الذي رصده دوسوسير بخصوص التحليل اللساني، من المفروض ، وفق هذا الطرح، أن ينسحب على الأنساق السيميولوجية، مثل: التزامنية(السانكرونية) ، والقيمة، والتعارض،والمحورين الترابطي والمركبي."[١٥]
علاوة على ذلك، تقوم العلامة عند دوسوسير على الدال والمدلول مع إقصاء المرجع المادي الحسي. ومن ثم، فالعلاقة الموجودة بينهما علاقة اعتباطية، ماعدا المحاكيات للطبيعة(onomatopées)، وصيغ التعجب. ومن هنا، لايتحد الدليل من خلال مجاله المادي، بل من خلال العلاقات الاختلافية والتعارضية على مستوى تجاور الدوال والمدلولات.
ومن مميزات الدليل السوسيري:
١- الدليل صورة نفسية مرتبطة باللغة لا بالكلام.
٢- يستند الدليل إلى عنصرين أساسيين: الدال والمدلول،مع إبعاد الواقع المادي أو المرجعي؛ لأن إقصاء المرجع يعني أن لسانيات دوسوسير شكلانية، وليست ذات بعد مادي وواقعي كما عند جوليا كريستيفا.
٣- اعتباطية الدليل واتفاقيته، مع استثناء الأصوات الطبيعية المحاكية، وصيغ التعجب والتألم.
٤- يعتبر النموذج اللساني في دراسة الأدلة غير اللفظية هو الأمثل والأصل في المقايسة.
٥- إن الدليل السوسيري محايد ومجرد ومستقل، يقصي الذات والإيديولوجيا.
هذا، وقد أغفل دوسوسير بعض المؤشرات الضرورية في التدليل، كالرمز، والإشارة، والأيقون. وقد حصر علامته في إطار ثنائي قائم على الدال والمدلول. ولقد استفادت مجموعة من المقاربات السيميوطيقية في تحليل النص من هذه الثنائية، حينما حاولت التركيز على شكلنة المضمون، وإبعاد الواقع أو المرجع بمحاولاته المختلفة،

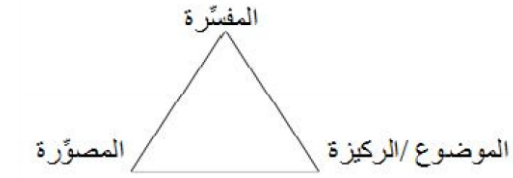

وكذلك وينظر الى سيميوطيقيا بيرس بوصفها سيميوطيقيا التمثيل والتواصل والدلالة في آن واحد فاللغة على سبيل المثال تتكون من فونيمات (صوتيات) ومرفيمات (وحدات صرفية) ووحدات معجمية ، وتتشكل هذه الوحدات البعد التركيبي للدلائل ، اما العد الثاني فيهتم بالمعاني في علاقتها بسياقها واما البعد الثالث فيعني بقواعد التأويل أي علاقة الدلائل بالنظر الى مؤولاتها والمعاني التي تحصل عليها لاتمدنا بها اللغة في بعدها الاول (التركيبي) ولا ببعدها الثاني (الدلالي) وانما في بعدها الثالث أي الفكر الذي هو كموضوع التداولية

التصنيف الأمريكي للعلامة : لقد قام بيرس بتقديم تقسيما ثلاثيا للعلامة بناءا ، يقوم بناءا على طبيعة العلاقة التي تربط بين الدال والمدلول ،إذ يعد هذا التقسيم الثلاثي للعلامة أهم فارق تجاوز به بيرس مفهوم العلامة عند دسوسير ، ذلك أنه لم يقتصر في تصنيفاته على العلامة اللغوية كما فعل دسوسير بل وسع مجال العلامة ليشمل كل ماهو لغوي وغير لغوي

الإيقونة **Icône**: هي تلك العلامة الدالّة على موضوعها عن طريق المشابهة؛ سواء كانت المشابهة بواسطة الرسم أو المحاكاة، إنّها ، فالعلاقة التي تجمع بين الدال والمدلول، ضمن الأيقون، هي علاقة تشابه وتماثل، مثل:

الخرائط ،والصور الفوتوغرافية، والبيانات والتصاميم والخرائط والاستعارات التي تحيل على مواضيعها مباشرة بواسطة المشابهة. وتتمظهر حيوية الأيقونة وقيمتها في قدرتها على أن تكون وسيلة اتصال وتفاهم بين الأمم والشعوب المختلفة، ولعلّ القيمة الّتي تختص بها الأيقونة دون سائر العلامات قد جعلت منها الفضاء الأرحب للسيميائيات عامة، و للسيميائيات البصرية الّتي عبّرت عنها الثقافات القديمة على وجه الخصوص .

المؤشر: في العلامة المؤشرية، فتكون العلاقة فيها بين الدال والمدلول سببية وعلية ومنطقية، كارتباط الدخان بالنار مثلا.

أما في الرمز **(Symbole)** :فتكون العلاقة الموجودة بين الدال والمدلول ، فهي علاقة اعتباطية وعرفية وغير معللة. فلا يوجد ثمة إذاً أي تجاور أو صلة طبيعية بينهما، ، ومن أمثلته شكل الصليب في الدلالة على المسيحية وشكل الهلال في دلالته على الإسلام، وشكل الميزان في دلالته على العدالةوقد. عرف بيرس الرمز بأنّه »علامة

تشير إلى الموضوع الذي تعبّر عنه عبر عرف، غالباً، ما يقترن بالأفكار العامة الّتي تدفع إلى ربط الرمز بموضوعته. فالرمز، إذن، نمط عام أو عرف؛ أي أنّه العلامة العرفية، ولهذا فهو يتصرف عبر نسخة مطابقة. وهو ليس عاماً هـ في ذاتفحسب، وا نوا إنّماّما الموضوع الذي يشير إليه يتميّز بطبيعة عامعامّ أيضاً .[1]

وما يلاحظ على تقسيمات بيرس توسعها وتشعبها ، حتى إنها في آخر المطاف، تصل إلى ستة وستين نوعا من العلامات، وأشهرها التقسيم الثلاثي، لأنه أكثر جدوى ونفعا في مجال السيميائيات، و يتمثل في: الأيقون، والإشارة ،والرمز.

المدرسة الروسية : تعتبر الشكلانية الروسية التمهيد الفعلي لدراسات السيميائية في غرب أوروبا واسمها الحقيقي **ololaz** وكانت أبحاثها تطبيقية ونظرية في آن واحد ومن نتائج هذه الأبحاث ظهور مدرسة جماعة تارتو ومن أعلامها البارزين :لوري لوتمان وتودروف وقد جمعت أعمال هؤلاء في كتاب جامع تحت اسم" أعمال حول أنظمة العلامات "واهتمت هذه المدرسة بسيميولوجيا الثقافة، وأهم ما تتميز بها الشكلانية الروسية:

-التوفيق بين أراء بيرس و دسوسير حول العلامة.

-استعمال مصطلح السيميوطيقا بدل السيميولوجيا.

-الاهتمام بالسيميوطيقا الابستمولوجية الثقافية ب)

[1] سيزا قاسم نصر حامد أبوزيد وآخرون: مدخل إلى السيميوطيقا -أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة، ص142.